تعليم النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأصحابه

الْحَمْدُ للهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَتُوبُ إِلَيْهِ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبَهُ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً.

أَمَّا بَعْدُ: فَاتَّقُوا اللهَ عِبَادَ اللهِ، فَأَوْثَقُ الْعُرَى كَلِمَةُ التَّقْوَى.

أَيُّهَا النَّاسُ: إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ خَيْرُ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ، الصَّدَارَةُ مَنْزِلَتُهَا، وَالْقِيَادَةُ مَرْتَبَتُهَا: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

إِنَّ مَصْدَرَ أَصَالَةِ الْأُمَّةِ، وَمِنْبَرَ تَوْجِيهِهَا، وَمَنَارَ تَأْثِيرِهَا هُوَ التَّمَسُّكُ بِتَعَالِيمِ دِينِهَا: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠] هَكَذَا أَرَادَ اللهُ لَهَا إِنْ هِيَ اسْتَقَامَتْ عَلَى النَّهْجِ وَقَامَتْ بِالْحَقِّ، إِنَّ أُمَّةً رَفَعَ اللهُ مِنْ شَأْنِهَا لَيْسَ لَهَا أَنْ تَنْحَدِرَ إِلَى مُسْتَوَى التَّقْلِيدِ وَالتَّبَعِيَّةِ وَإِنَّ أُمَّةً قَدْ وُضِّحَتْ لَهَا الْمَعَالِمُ فَمِنَ السَّفَاهَةِ أَنْ تَطْلُبَ الْحَقَّ فِي مَعَالِمِ غَيْرِهَا.

عِبَادَ اللهِ: إِنَّ أَعْظَمَ مِنَّةٍ مَنَّ اللهُ بِهَا عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ هُوَ أَنْ بَعَثَ فِيهِمْ مُحَمَّداً ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ مبَشِّراً وَمُنْذِراً، وَقَبْلَ ذَلِكَ وَذَاكَ مُعَلِّماً وَمُرْشِداً: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

حِينَ دَعَا إِبْرَاهِيمُ ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ لِذُرِّيَّتِهِ مِنْ بَعْدِهِ دَعَا لَهُمْ بِكُلِّ خَيْرٍ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَنْسَ أَنْ يَسْأَلَ اللهَ لَهُمْ الْمُعَلِّمَ النَّاصِحَ وَالْمُرْشِدَ الْمُوَجِّهَ: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩].

فَلَمَّا أَوْجَدَ اللهُ هَذَا الرَّسُولَ جَعَلَ وُجُودَهُ قَاطِعاً لِلْعُذْرِ مُقِيماً لِلْحُجَّةِ ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ (١٥١) فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥١-١٥٢].

وَمَا مَاتَ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ حتَّى عَلَّمَ النَّاسَ كُلَّ شَيْءٍ، رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي "مُسْنَدِهِ" عَنْ أَبِي ذَرٍّ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: لَقَدْ تَرَكَنَا

مُحَمَّدٌ ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ ومَا يُحَرّكُ طَائِرٌ جَنَاحَيْهِ فِي السَّمَاءِ إِلَّا ذَكَرَ لَنَا عَنْهُ عِلْماً.

عِبَادَ اللهِ: لَقَدْ أَفْنَى رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ عمْرَهُ كُلَّهُ فَي سَبِيلِ تَعْلِيمِ أُمَّتِهِ وَنَشْرِ الدِّينِ بَيْنَهُمْ.

كَانَ صَلَوَاتُ رَبِّي وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ يُعَلِّمُ النَّاسَ عَلَى جَمِيعِ أَحْوَالِهِ، فِي مَسْجِدِهِ، فِي خُطْبَةِ الْجُمُعَةِ، فِي مَوَاعِظِهِ لِأَصْحَابِهِ، يَقُولُ عَبْدُ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ: إِنِّي لَأَتَخَوَّلُكُمْ بِالْمَوْعِظَةِ كَمَا كَانَ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ يتَخَوَّلُنَا بِالْمَوْعِظَةِ مَخَافَةَ السَّآمَةِ عَلَيْنَا.

بَيْتُهُ ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ مدْرَسَةٌ، وَلِهَذَا كَانَ الصَّحَابَةُ إِذَا اخْتَلَفُوا فِي أَمْرٍ ذَهَبُوا إِلَى بُيُوتِ النَّبِيِّ ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ يَسْأَلُونَ زَوْجَاتِهِ عَنْ عَمَلِهِ فِي بَيْتِهِ.

كَانَ ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ يعَلِّمُ النَّاسَ وَهُوَ وَاقِفٌ عَلَى نَاقَتِهِ، يَقُولُ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ: لَقَدْ رَأَيْتُ النَّبِيَّ ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ وهُوَ وَاقِفٌ عَلَى نَاقَتِهِ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ بِمِنًى لِلنَّاسِ يَسْأَلُونَهُ، فَمَا سُئِلَ عَنْ شَيْءٍ قُدِّمَ وَلَا أُخِّرَ إِلَّا قَالَ: **«افْعَلْ وَلَا حَرَجَ»** رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

عِبَادَ اللهِ: لَقَدْ كَانَ ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ لا يَدَعُ فُرْصَةً لِلتَّعْلِيمِ إِلَّا اغْتَنَمَهَا يَقُولُ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ: كُنْتُ يَوْماً خَلْفَ النَّبِيِّ ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ عَلَى الدَّابَّةِ، فَقَالَ: **«يَا غُلَامُ، إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تِجَاهَكَ..»** الْحَدِيثُ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ.

وَيَقُولُ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ: كَانَ النَّبِيُّ ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ عَلَى حِمَارٍ، وَكَانَ مُعَاذٌ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ رَدِيفَهُ، فَقَالَ: **«يَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ»** فَقَالَ مُعَاذٌ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ وَسَعْدَيْكَ ـ ثَلَاثاً ـ ثُمَّ قَالَ: **«مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ صِدْقاً مِنْ قَلْبِهِ إِلَّا حَرَّمَهُ اللهُ عَلَى النَّارِ»** مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

أَيُّهَا النَّاسُ: يَقُولُ مُنَظِّرُو التَّعْلِيمِ: إِنَّ التَّعْلِيمَ التَّطْبِيقِيَّ أَرْسَخُ مِنَ التَّعْلِيمِ النَّظَرِيِّ، وَلَقَدْ سَبَقَهُمْ إِلَى ذَلِكَ مُحَمَّدٌ ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ يَقُولُ عُمَرُ بْنُ أَبِي سَلَمَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ: كُنْتُ غُلَاماً فِي حِجْرِ رَسُولِ اللهِ ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: **«يَا غُلَامُ، سَمِّ اللهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ»** مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَكَانَ ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ يَمْشِي وَمَعَهُ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ، فَوَجَدَ تَمْرَةً فَأَخَذَهَا الْحَسَنُ، فَقَالَ ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: **«كَخْ كَخْ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّا لَا تَحِلُّ لَنَا الصَّدَقَةُ؟»**.

عِبَادَ اللهِ: إِنَّ أَمْرَ تَعْلِيمِ النَّاسِ أَمْرٌ عَظِيمٌ، حَتَّى إِنَّهُ ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ لَيُوقِفُ غَيْرَهُ مِنَ الْعِبَادَاتِ لِأَجْلِ الْعِلْمِ، رَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي "صَحِيحِهِ" عَنْ أَبِي رِفَاعَةَ الْعَدَوِيِّ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: انْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ وهُوَ يَخْطُبُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، رَجُلٌ غَرِيبٌ يَسْأَلُ عَنْ دِينِهِ، لَا يَدْرِي مَا دِينُهُ، قَالَ: فَأَقْبَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ وجَعَلَ يُعَلِّمُنِي مِمَّا عَلَّمَهُ اللهُ، ثُمَّ أَتَى خُطْبَتَهُ فَأَتَمَّ آخِرَهَا.

أَيُّهَا النَّاسُ: لَئِنْ كَانَ ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ يُعَلِّمُ النَّاسَ بِأَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ فَلَقَدْ كَانَ يُعَلِّمُهُمْ بِأَخْلَاقِهِ، يَقُولُ مُعَاوِيَةُ بْنُ الْحَكَمِ السَّلَمِيّ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ بَيْنَا أَنَا أُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللهِ ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ اللهُ، فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ فَقُلْتُ: وَاثُكْلَ أُمِّيَاهُ! مَا شَأْنُكُمْ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ؟! فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَى أَفْخَاذِهِمْ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصْمِتُونَنِي لَكِنِّي سَكَتُّ.

فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ فبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي مَا رَأَيْتُ مُعَلِّماً قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ أَحْسَنَ مِنْهُ، فَوَاللهِ مَا كَهَرَنِي، وَلَا ضَرَبَنِي، وَلَا شَتَمَنِي قَالَ: **«إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةُ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ، إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ، وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ»** رَوَاهُ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ.

عِبَادَ اللهِ: بِمِثْلِ هَذِهِ الْأَعْمَالِ مِنَ الْمُصْطَفَى ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ عَلَّمَ أُمَّتَهُ كُلَّ شَيْءٍ، حَتَّى بَلَغَ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ بَعْضَ الْمُشْرِكِينَ قَالَ لِسَلْمَانِ الْفَارِسِيِّ: إِنَّا نَرَى صَاحِبَكُمْ يُعَلِّمُكُمْ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى الْخِرَاءَةَ! قَالَ سَلْمَانُ: نَعَمْ، لَقَدْ نَهَانَا أَنْ نَسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةَ بِغَائِطٍ أَوْ بَوْلٍ، أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِالْيَمِينِ، أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِأَقَلَّ مِنْ ثَلَاثَةِ أَحْجَارٍ، أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِرَجِيعٍ دَابَّةٍ أَوْ عَظْمٍ.

إِنَّ مُسْتَوَى التَّعْلِيمِ فِي زَمَانِنَا لَمْ يَضْعُفْ، وَلَمْ يَهْتَزَّ بُنْيَانُهُ إِلَّا حِينَمَا قَصَرْنَاهُ عَلَى جَوَانِبَ مَحْدُودَةٍ فَقَطْ.

إِنَّ التَّعْلِيمَ لَيْسَ مَقْصُوراً عَلَى مَدْرَسَةٍ تُفْتَحُ ثُمَّ تُغْلَقُ ثُمَّ تُفْتَحُ، إِنّ الْحَيَاةَ كُلَّهَا مَجَالٌ لِلتَّعْلِيمِ، الْبَيْتُ مَدْرَسَةٌ، الْأَبُ مَدْرَسَةٌ، الْأُمُّ مَدْرَسَةٌ، الْمَسْجِدُ مَدْرَسَةٌ السُّوقُ مَدْرَسَةٌ، كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ النَّاسِ مَدْرَسَةٌ فِي أَخْلَاقِهِ وَتَصَرُّفَاتِهِ.

لمَاَّ بُنِيَتِ الْمَدَارِسُ ـ وَأَوَّلُ مَا بُنِيَتْ بِبَغْدَادَ ـ قَالَ عُلَمَاءُ ذَلِكَ الْعَصْرُ: الْيَوْمَ يُنْعَى الْعِلْمُ وَيُوَدِّعُهُ أَهْلُهُ.

أَلَا فَاتَّقُوا اللهَ ـ عِبَادَ اللهِ ـ وَتَفَقَّهُوا فِي دِينِكُمْ، وَلْيُقِمْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ نَفْسَهُ مُعَلِّمًا لِغَيْرِهِ.

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ فَاسْتَغْفِرُوهُ، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الْحَمْدُ للهِ حَقَّ حَمْدِهِ، أَفْضَلُ مَا يَنْبَغِي لِجَلَالِ وَجْهِهِ، أَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْهِ، هُوَ كَمَا أَثْنَى عَلَى نَفْسِهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ.

أَمَّا بَعْدُ: رَوَى الْإِمَامُ الدَّارِمِيُّ فِي "سُنَنِهِ" عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: لَمَّا تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قُلْتُ لِرَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ: يَا فُلَانُ، هَلُمَّ فَلْنَسْأَلْ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ فَإِنَّهُمُ الْيَوْمَ كَثِيرٌ، فَقَالَ: وَاعَجَباً لَكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ! أَتَرَى النَّاسَ يَحْتَاجُونَ إِلَيْكَ وَفِي النَّاسِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ مَنْ تَرَى؟! فَتَرَكَ ذَلِكَ وَأَقْبَلْتُ أَنَا عَلَى الْمَسْأَلَةِ، فَإِنْ كَانَ لَيَبْلُغُنِي الْحَدِيثُ عَنِ الرَّجُلِ فَآتِيهِ وَهُوَ قَائِلٌ، فَأَتَوَسَّدُ رِدَائِي عَلَى بَابِهِ، فَتُسْفِي الرِّيحُ عَلَى وَجْهِيَ التُّرَابَ، فَيَخْرُجُ فَيَرَانِي، فَيَقُولُ: يَا ابْنَ عَمِّ رَسُولِ اللهِ، مَا جَاءَ بِكَ؟ أَلَا أَرْسَلْتَ إِلَيَّ فَآتِيكَ؟! فَأَقُولُ: أَنَا أَحَقُّ أَنْ آتِيكَ فَأَسْأَلُهُ عَنِ الْحَدِيثِ، قَالَ: فَبَقِيَ صَاحِبِي الْأَنْصَارِيُّ حَتَّى رَآنِي وَقَدِ اجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَيَّ، فَقَالَ: كَانَ هَذَا الْفَتَى أَعْقَلَ مِنِّي.

عِبَادَ اللهِ: إِنَّ السَّابِقِينَ مَا نَالُوا مِنَ الْعِلْمِ مَا نَالُوهُ إِلَّا بِالْمَشَقَّةِ وَالْمُكَابَدَةِ، وَإِنَّنَا لَنْ نَصِلَ إِلَى مِثْلِ مَا وَصَلُوا إِلَيْهِ فِي وَقْتِهِمْ إِلَّا بِمِثْلِ ذَلِكَ الْعَنَاءِ وَالْمُكَابَدَةِ.

أَيُّهَا النَّاسُ: إِنَّهُ وَإِنْ تَعَدَّدَتْ وَسَائِلُ التَّعْلِيمِ وَطَرَائِقِهِ إِلَّا أَنَّهُ بِقَدْرِ ذَلِكَ تَتَعَدَّدُ الْمُغْرِيَاتُ وَالْمُلْهِيَاتُ، وَإِنَّ خَطَرَهَا وَتَأْثِيرَهَا لَمِنْ أَشَدِّ مَا يُوَاجِهُ الْمُعَلِّمَ فِي هَذَا الْعَصْرِ، فَاتَّقُوا اللهَ عِبَادَ اللهِ، وَتَوَاصَوْا فِيمَا بَيْنَكُمْ بِالْحَقِّ، وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ عِلْمًا نَافِعاً، وَقَلْباً خَاشِعاً، وَلِسَاناً ذَاكِراً.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرَ وَالنَّاصِحِ لَهُمْ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ.

تنوير الحوالك بمعنى: **«اللهم أغنني بحلالك عن حرامك»**

الْحَمْدُ للهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَتُوبُ إِلَيْهِ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبَهُ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللهَ تَعَالَى حَقَّ التَّقْوَى.

أَتَى عَلِيًّا ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! إِنِّي عَجَزْتُ عَنْ مُكَاتَبَتِي فَأَعِنِّي، فَقَالَ عَلِيٌّ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ: أَلا أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ عَلَّمَنِيهِنَّ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ لَوْ كَانَ عَلَيْكَ مِثْلُ جَبَلِ صِيرٍ دَنَانِيرَ لَأَدَّاهُ اللهُ عَنْكَ؟ قُلْتُ بَلَى، قَالَ: قُلْ: **«اللَّهُمَّ اكْفِنِي بِحَلَالِكَ عَنْ حَرَامِكَ، وَأَغْنِنِي بِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ»** رَوَاهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ أَحْمَدَ فِي "زِيَادَاتِ الْمُسْنَدِ" وَالتِّرْمِذِيُّ وَالْحَاكِمُ بِسَنَدٍ حَسَنٍ.

عِبَادَ اللهِ: جَاءَ الرَّجُلُ يَطْلُبُ الْإِعَانَةَ الْمَالِيَّةَ لِوَفَاءِ دَيْنِهِ، وَإِنْهَاءِ مُكَاتَبَتِهِ وَالتَّخَلُّصِ مِنْ رِقِّهِ، فَعَلَّمَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ هَذَا الدُّعَاءَ الْعَظِيمَ لِاحْتِمَالِ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ مَالٌ، فَرَدَّهُ رَدًّا حَسَناً؛ عَمَلاً بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى﴾ [البقرة: ٢٦٣] أَوْ أَنَّهُ أَرْشَدَهُ إِلَيْهِ إِشَارَةً إِلَى أَنَّ الْأَوْلَى وَالْأَصْلَحُ لَهُ أَنْ يَسْتَعِينَ بِاللهِ عَلَى أَدَائِهَا، وَلَا يَتَّكِلَ عَلَى غَيْرِهِ، لِقَوْلِهِ: **«وَأَغْنِنِي بِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ»**.

أَضِفْ إِلَى ذَلِكَ أَنَّ الْمَسْؤُولَ هُوَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، فَيُمْكِنُ أَنْ يُعِينَهُ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ؛ لَكِنَّهُ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ أَرْشَدَهُ إِلَى الْأَفْضَلِ وَالْأَوْلَى، كَمَا أَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يُعَلِّمَهُ هَذَا الدُّعَاءَ حِرْصاً مِنْهُ عَلَى تَبْلِيغِ حَدِيثِ رَسُولِ اللهِ.

وَوَصَفَ لَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُ لَوْ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الدَّيْنِ مِثْلُ **«صِيرٍ»** بِكَسْرِ الصَّادِ؛ جَبَلٌ بِبِلَادِ طَيِّئٍ، وَ«صُبَيْرُ» جَبَلٌ بِالْيَمَنِ، يَعْنِي: مَهْمَا كَانَ ذَلِكَ الدَّيْنُ، حَتَّى وَلَوْ فَرْضَ أَنَّهُ مِثْلُ الْجَبَلِ «أَدَّاهُ اللهُ عَنْكَ»: قَضَاهُ عَنْكَ وَأَعَانَكَ عَلَى تَسْدِيدِهِ.

عِبَادَ اللهِ: إِنَّ مِنْ مِشْكَاةِ هَذَا الْحَدِيثِ: أَنَّ أَعْظَمَ الطُّرُقِ لِقَضَاءِ مَا عَلَى الْمَرْءِ مِنْ دُيُونٍ هُوَ التَّوَكُّلُ عَلَى اللهِ حَقًّا، وَالِاسْتِعَانَةُ بِهِ صِدْقاً عَلَى قَضَاءِ الدَّيْنِ وَالْوَفَاءِ بِهِ.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ

لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢-٣] قَالَ قَتَادَةُ: **«مِنْ حَيْثُ لَا يَرْجُو وَلَا يُؤَمِّلُ»** وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: **«لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، أَلَا تَرَوْنَ أَنَّهَا تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا»**.

فَالتَّوَكُّلُ عَلَى اللهِ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ مِنْ أَعْظَمِ الْأَسْبَابِ الَّتِي يُسْتَجْلَبُ بِهَا الرِّزْقُ وَيُتَوَسَّلُ بِهَا لِقَضَاءِ الدَّيْنِ، قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: بِحَسْبِكَ مِنَ التَّوَسُّلِ إِلَيْهِ أَنْ يَعْلَمَ مِنْ قَلْبِكَ حُسْنَ تَوَكُّلِكَ عَلَيْهِ، فَكَمْ مِنْ عَبْدٍ مِنْ عِبَادِهِ قَدْ فَوَّضَ إِلَيْهِ أَمْرَهُ فَكَفَاهُ مِنْهُ مَا أَهَمَّهُ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢-٣].

ثُمَّ لَا بُدَّ مَعَ التَّوَكُّلِ مِنَ السَّعْيِ الصَّادِقِ، وَالْعَمَلِ بِالْأَسْبَابِ الْمَشْرُوعَةِ وَاتِّخَاذِ التَّدَابِيرِ اللَّازِمَةِ، وَطَرْحِ الْكَسَلِ وَالْبَطَالَةِ، وَمَنْ أَخْلَصَ فِي نِيَّتِهِ وَتَوَكُّلِهِ وَصَدَقَ فِي سَعْيِهِ وَهِمَّتِهِ أَدَّى عَنْهُ رَبُّهُ وَقُضِيَ دَيْنُهُ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: **«مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا أَدَّاهُ اللَّهُ عَنْهُ، وَمَنْ أَخَذَهَا يُرِيدُ إِتْلَافَهَا أَتْلَفَهُ اللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ»**.

وَمِنْ مِشْكَاةِ هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ الْمُؤْمِنَ يَنْبَغِي لَهُ التَّوَجُّهُ إِلَى اللهِ تَعَالَى وَإِنْزَالِ الْحَوَائِجِ بِهِ، فَفَضْلُهُ عَظِيمٌ، وَرِزْقُهُ كَرِيمٌ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النساء: ٣٢].

وَقَالَ: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ (٧) وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ [الشرح: ٧-٨] أَيِ: ارْغَبْ إِلَيْهِ وَحْدَهُ وَلَا تَرْغَبْ إِلَى غَيْرِهِ، وَجَاءَ فِي وَصِيَّتِهِ ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ إِلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ: **«إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ»** أَيِ: اسْأَلْهُ وَلَا تَسْأَلْ أَحَداً سِوَاهُ؛ لِأَنَّ السُّؤَالَ فِيهِ إِظْهَارُ الذُّلِّ مِنَ السَّائِلِ وَالْمَسْكَنَةِ وَالْحَاجَةِ وَالِافْتِقَارِ، وَفِيهِ الِاعْتِرَافُ بِقُدْرَةِ الْمَسْؤُولِ عَلَى رَفْعِ هَذَا الضُّرِّ وَنَيْلِ الْمَطْلُوبِ وَجَلْبِ الْمَنَافِعِ وَدَرْءِ الْمَضَارِّ، وَلَا يَصْلُحُ الذُّلُّ وَالِافْتِقَارُ إِلاَّ للهِ وَحْدَهُ؛ لِأَنَّهُ حَقِيقَةُ الْعِبَادَةِ.

إِنَّ اللهَ تَعَالَى يُحِبُّ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ يَسْأَلُوهُ وَيَطْمَعُوا فِيمَا عِنْدَهُ، وَيُنْزِلُوا حَوَائِجَهُمْ بِهِ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ؛ رَزَقَهُمْ مِنْ خَزَائِنِهِ، وَأَغْنَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: **«مَنْ نَزَلَتْ بِهِ فَاقَةٌ فَأَنْزَلَهَا بِالنَّاسِ لَمْ تُسَدَّ فَاقَتُهُ، وَمَنْ نَزَلَتْ بِهِ فَاقَةٌ فَأَنْزَلَهَا بِاللهِ فَيُوشِكُ اللهُ لَهُ بِرِزْقٍ عَاجِلٍ أَوْ آجِلٍ»**.

فَعَلَى الْمَدِينِ أَنْ يُوَطِّنَ نَفْسَهُ عَلَى سُؤَالِ رَبِّهِ، وَالرَّغْبَةِ فِي فَضْلِهِ، وَيَدَعَ

سُؤَالَ الْعَبْدِ الضَّعِيفِ الَّذِي إِذَا أَعْطَى مَنَّ، وَإِذَا أَحْسَنَ اسْتَعْبَدَ، إِلاَّ مَنْ رَحِمَ اللهُ تَعَالَى.

قَالَ عَطَاءٌ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: جَاءَنِي طَاوُسٌ فَقَالَ لِي: يَا عَطَاءُ! إِيَّاكَ أَنْ تَرْفَعَ حَوَائِجَكَ إِلَى مَنْ أَغْلَقَ دُونَكَ بَابَهُ، وَجَعَلَ دُونَكَ حِجَاباً، وَعَلَيْكَ بِطَلَبِ حَوَائِجِكَ إِلَى مَنْ بَابُهُ مَفْتُوحٌ لَكَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ طَلَبَ مِنْكَ أَنْ تَدْعُوَهُ، وَوَعَدَكَ الْإِجَابَةَ.

وَمَنْ أَصْبَحَ وَأَمْسَى لَا يَرْجُو إِلاَّ رَبَّهُ وَلَا يَرْغَبُ إِلاَّ فِيمَا عِنْدَهُ كَانَ غَنِياً قَنُوعاً، وَعَاشَ سَعِيداً عَزِيزاً.

كَانَ مِنْ دُعَاءِ الْإِمَامِ الْمُبَجَّلِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلَ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: **«اللَّهُمَّ كَمَا صُنْتَ وَجْهِي عَنْ السُّجُودِ لِغَيْرِكَ، فَصُنْ وَجْهِي عَنِ الْمَسْأَلَةِ لِغَيْرِكَ»**.

أَيُّهَا الْأُخْوَةُ: وَمِنْ مِشْكَاةِ هَذَا الْحَدِيثِ: فَضِيلَةُ هَذَا الدُّعَاءِ وَأَهَمِّيَّتُهُ فِي قَضَاءِ الدَّيْنِ، فَالدَّاعِي يَدْعُو رَبَّهُ الرَّزَّاقَ ذَا الْقُوَّةِ الْمَتِينَ أَنْ يَرْزُقَهُ الْكِفَايَةَ مِنَ الْحَلَالِ، وَالِاسْتِغْنَاءَ بِفَضْلِهِ عَمَّنْ سِوَاهُ.

فَمَنْ حَرِصَ عَلَى هَذَا الدُّعَاءِ وَوَاظَبَ عَلَيْهِ مُحَقِّقاً شُرُوطَ الْإِجَابَةُ، مُجْتَنِباً مَوَانِعَهَا؛ كَفَاهُ اللهِ وَأَغْنَاهِ وَأَدَّى عَنْهُ وَأَعَانَهُ، مَهْمَا عَظُمَ ذَلِكَ الدَّيْنُ، فَخَزَائِنُهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ لَا تَنْفَدُ، وَرِزْقُهُ لَا يَنْقُصُ.

قَالَ النَّبِيُّ ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: **«إِنَّ يَمِينَ اللهِ مَلْأَى لَا يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فَإِنَّهُ لَمْ يَنْقُصْ مَا فِي يَمِينِهِ»**.

وَمَنْ رَزَقَهُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ لَمْ يَحْتَجْ إِلَى غَيْرِهِ.

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ فَاسْتَغْفِرُوهُ، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الحَمْدُ للهِ وَحْدَهُ أَمَّا بَعْدُ:

إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ مَا يَجِدُهُ الْمُؤْمِنُ الْحَقُّ فِي هَذَا الدُّعَاءِ: فَضِيلَةَ الْحَلَالِ الطَّيِّبِ وَرَذَالَةَ الْحَرَامِ الْخَبِيثِ، إِذْ أَنَّ الْبَرَكَةَ وَالْخَيْرَ فِي الْأَوَّلِ وَلَوْ كَانَ قَلِيلاً، وَالْمَحْقُ وَالشَّرُّ فِي الثَّانِي وَلَوْ كَانَ كَثِيراً، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَاأُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ١٠٠].

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: وَالصَّحِيحُ أَنَّ اللَّفْظَ عَامٌّ فِي جَمِيعِ الْأُمُورِ، يُتَصَوَّرُ فِي الْمَكَاسِبِ، وَالْأَعْمَالِ، وَالنَّاسِ، وَالْمَعَارِفِ مِنَ الْعُلُومِ وَغَيْرِهَا؛ فَالْخَبِيثُ مِنْ هَذَا كُلِّهِ لَا يُفْلِحُ وَلَا يُنْجِبُ، وَلَا تَحْسُنَ لَهُ عَاقِبَةٌ وَإِنْ كَثُرَ، وَالطَّيِّبَ وَإِنْ قَلَّ نَافِعٌ جَمِيلُ الْعَاقِبَةِ ا.هـ

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾ [البقرة: ٢٧٦] الْمَحْقُ هُوَ الذَّهَابُ وَالنَّقْصَ وَرَفْعُ الْبَرَكَةِ، وَيُرْبِي هُنَا الزِّيَادَةُ وَالنَّمَاءُ وَالْبَرَكَةُ، فَاللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ يَمْحَقُ مَكَاسِبَ المُرَابِينَ، وَيُرْبِي صَدَقَاتِ الْمُنْفِقِينَ، عَكْسَ ما يَتَبَادَرُ لِأَذْهَانِ كَثِيرٍ مِنَ الْخَلْقِ، أَنَّ الْإِنْفَاقَ يُنْقِصُ الْمَالَ وَأَنَّ الرِّبَا يَزِيدُهُ، فَإِنَّ مَادَّةَ الرِّزْقِ وَحُصُولَ ثَمَرَاتِهِ مِنَ اللهِ تَعَالَى، وَمَا عِنْدَ اللهِ لَا يُنَالُ إِلاَّ بِطَاعَتِهِ وَامْتِثَالِ أَمْرِهِ، فَالْمُتَجَرِّئُ عَلَى الرِّبَا، يُعَاقِبُهُ بِنَقِيضِ مَقْصُودِهِ، وَهَذَا مُشَاهَدٌ بِالتَّجْرِبَةِ ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢].

فَعَلَى الْعَبْدِ أَنْ يَسْعَى لِكَسْبِ الْحَلَالِ الطَّيِّبِ، وَيَرْضَى بِمَا قَسَمَ اللهُ لَهُ مِنْهُ وَلَا يَغْتَرَّ بِكَثْرَةِ الْخَبِيثِ، فَإِنَّ عَاقِبَتَهُ إِلَى قُلٍّ.

إِنَّ مَا يَظُنُّهُ بَعْضُ النَّاسِ فِي اسْتِجْلَابِهِمُ الْمَالَ بِأَيِّ طَرِيقٍ، فَيَغُشُّ وَيُدَلِّسُ وَيَرْتَشِي، وَيَخْدَعُ صَاحِبَ الْعَمَلِ أَوْ يُقَصِّرُ فِي أَمَانَتِهِ وَيَظُنُّ ذَلِكَ سَبَبًا لِعُلُوِّ قَدْرِهِ وَكَثْرَةِ مَالِهِ: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾ [البقرة: ٢٧٦].

وَلَقَدْ رَأَيْنَا مِنْ أَحْوَالِ النَّاسِ شَيْئاً عَجِيباً فِي حِرْصِ بَعْضِهِمْ عَلَى جَمْعِ الْمَالِ بِأَيِّ طَرِيقٍ ثُمَّ لَا يَرَى أَثَرَ ذَلِكَ عَلَيْهِ؛ بَلْ هُوَ مَلِيءٌ بِالدُّيُونِ مُغْرَقٌ بِالْهُمُومِ فَلَا حَلَالَ أَخَذَ وَلَا رَاحَةَ وَجَدَ.

إِنَّ مِمَّا يُؤْخَذُ مِنْ مِشْكَاةِ هَذَا الدُّعَاءِ: أَنَّهُ يَنْبَغِي لِلْعَالِمِ، وَالْمُفْتِي، وَالنَّاصِحِ إِرْشَادُ النَّاسِ إِلَى اللُّجُوءِ إِلَى اللهِ، وَالْفِرَارِ إِلَيْهِ، وَالِاعْتِصَامِ بِهِ وَتَوْحِيدِهِ وَدُعَائِهِ، وَالرَّغْبَةِ فِيمَا عِنْدَهُ، وَقَطْعِ تَعَلُّقِهِمْ بِالْعِبَادِ، وَسُؤَالِهِمْ، وَاسْتِشْرَافِهِمْ لِأَمْوَالِهِمْ، وَهَذَا الَّذِي فَعَلَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ـ

رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ حَيْثُ أَرْشَدَ السَّائِلَ إِلَى أَفْضَلَ مِمَّا طَلَبَ، وَدَلَّهُ عَلَى خَيْرٍ مِمَّا سَأَلَ، أَرْشَدَهُ إِلَى التَّوَجُّهِ إِلَى اللهِ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ وَسُؤَالِهِ الْكِفَايَةَ وَالْغِنَى مِنْ فَضْلِهِ.

وَمِثْلُ هَذَا حَدِيثُ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ أَنَّهُ شَكَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ وَجَعاً يَجِدُهُ فِي جَسَدِهِ مُنْذُ أَسْلَمَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: **«ضَعْ يَدَكَ عَلَى الَّذِي تَأَلَّمَ مِنْ جَسَدِكَ، وَقُلْ بِاسْمِ اللهِ ثَلَاثاً، وَقُلْ سَبْعَ مَرَّاتٍ: أَعُوذُ باللهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ»**.

عَلَّمَهُ هَذَا الدُّعَاءَ وَأَرْشَدَهُ إِلَى التَّوَجُّهِ إِلَى رَبِّ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ الَّذِي يَكْشِفُ الضُّرَّ، وَيَشْفِي، وَهُو الشَّافِي لَا شِفَاءَ إِلاَّ شِفَاؤُهُ، شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَماً فَقَالَ ذَلِكَ؛ فَشَفَاهُ اللهُ وَعَافَاهُ.

وَجَاءَ فِي رِوَايَةِ "الْمُوَطَّإِ" لِهَذَا الْحَدِيثِ: **«فَقُلْتُ ذَلِكَ؛ فَأَذْهَبَ اللهُ مَا كَانَ بي، فَلَمْ أَزَلْ آمُرُ بِهَا أَهْلِي وَغَيْرَهُمْ»**.

أَيُّهَا الْأُخْوَةُ: هَذِهِ آثَارٌ وَمَعَانٍ لِدُعَاءٍ يَسِيرٍ قَدْ عَمِيَ عَنْهَا أَقْوَامٌ: فَعَمِيَ عَنْ هَذِهِ الْأُصُولِ الَّذِينَ يَتَخَوَّضُونَ فِي أَمْوَالِ الدَّوْلَةِ بِدُونِ وَجْهِ حَقٍّ، وَعَمِيَ عَنْهَا الْعُمَّالُ وَالْمُوَظَّفُونَ فِي أَكْلِهِمْ مِنْ أَمْوَالِ مَا وُلُّوا عَلَيْهِ وَائْتُمِنُوا.

وَعَمِيَ عَنْهَا مَنِ انْسَاقُوا خَلْفَ الدُّيُونِ فِي تَسْيِيرِ أُمُورِ حَيَاتِهِمْ فِي كُلِّ شَأْنٍ مِنْ شُؤُونِ حَيَاتِهِمْ وَلِذَلِكَ تَرَاهُ دَائِمَ التَّشَكِّي وَالتَّضَجُّرِ مِنْ قِلَّةِ ذَاتِ يَدِهِ، وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِذَهَابِ الْبَرَكَةِ مِنْ مَالِهِ.

وَعَمِيَ عَنْهَا أُولَئِكَ الرُّقَاةُ الْمُرْتَزِقَةُ ـ فَضْلًا عَنْ غَيْرِهِمْ مِنَ الْمُشَعْوِذِينَ ـ الَّذِينَ لَا هَمَّ لَهُمْ إِلاَّ الِاسْتِحْوَاذُ عَلَى النَّاسِ، وَاسْتِغْلَالُ جَهْلِهِمْ، وَابْتِزَازِ أَمْوَالِهِمْ، فَيَفْرَحُونَ بِمَجِيئِهِمْ إِلَيْهِمْ، وَاكْتِظَاظِ مَحِلَّاتِهِمْ بِهِمْ.

وَعَمِيَ عَنْهَا مَنْ يَظُنُّ أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَبْلُغُ مَبْلَغَ كِبَارِ التُّجَّارِ إِلَّا بِسُلُوكِهِ مَسَالِكَ مُلْتَوِيَةً وَطُرُقًا مُحَرَّمَةً.

أَيُّهَا النَّاسُ: أَلِظُّوا إِلَى رَبِّكُمْ بِهَذَا الدُّعَاءِ: اللَّهُمَّ اكْفِنِي بِحَلَالِكَ عَنْ حَرَامِكَ وَأَغْنِنِي بِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ.

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].